



## حيرة المتفرج

لم يحدث مرة في التاريخ الحديث ان كان الشرق العربي في هذه الحال من التلقي والعجز. حتى في خضمّ التقسيم الاستعماري، ابان الحرب العالمية الاولى، كانت هناك قوة عربية حاولت ان تناور وتراوغ فتقاوم قبل ان تقضي مهزومة... حتى في احلك ايام الصراع العربي - الاسرائيلي كان للعرب كلمة وإن اسكنت، طاقة وإن بددت، مبادرة وإن هزمت... حتى في الحرب الاميركية الاولى على العراق، كان اطراف عرب يشاركون، يشجعون او يدفعون الفواتير، فيما اخرى تنصت لصوت الشارع الهادر بالاعتراض او تفتح الشارع امام المعترضين كي يهدروا... هذه المرة، الكل على قلب واحد، والحكومات توحدت مع شعوبها في موقف مشترك: الانتظار فالانتظار.

لا يمكن التنبؤ في السياسة، ولا احد يستطيع التكهّن بأن الوضع سيظل مضبوطاً في الاسابيع المقبلة. غير ان المعطى الذي يفرض نفسه في اليوم الذي قد يتقرر فيه مصير العراق في مجلس الامن، هو ان العرب غائبون، لا سياسة عندهم غير الترقب. الحكومات العربية المختلفة لا تملك ان تقول شيئاً لكبح جماح الحرب او تسريعها او توجيهها. ولا يتوقع احد من مجلس وزراء الجامعة الذي ينعقد بعد غد الأحد، ولا من القمة العربية، اذا انعقدت، تحركاً يطبع "الأزمة العراقية" بايقاع جديد، وإن ليومين فقط. فاذا كان يمكن استشمام ممانعة عربية، فهي لا تقارن بشيء بالمعاندة الفرنسية - الالمانية، ولا حتى بالانتهازية الروسية.

صحيح ان هناك اقتراحاً بتأمين مخرج للرئيس العراقي في احد المنافي، لكنه لا يخرج عن الايقاع المفروض اميركياً الا لكسب بعض الوقت. غير ان الخضوع لهذا الايقاع الاميركي، وهذا ايضاً لافت، يحصل في خفر، اذ لم يتبرع احد هذه المرة لتغطية الحملة الاميركية. تلك مفارقات الحكومات العربية، على اختلافها، في لحظة يتقرر مصير العراق: كلها تعادي لسبب او لآخر نظام صدام حسين لكنها لا تريد سقوطه، كلها تعتمد بدرجة او باخرى على الدعم الاميركي لكنها لا تجاري الولايات المتحدة في مشروع حربها، كلها ترفض الحرب لكنها لا تفعل شيئاً لمنعها. اما اسباب هذه المفارقات فمعروفة: اذا كان الحكام العرب ضد اسقاط نظام يعادونه، فلانهم يخشون ان تتأسس سابقة قد تهددهم غداً.

وإذا كانوا لا يستطيعون لجم ارادة الحرب الاميركية فلأنهم، بخلاف فرنسا او المانيا، لا يملكون ما يكفي من استقلالية القرار. على العكس تماماً، فقد اضمحلت قدرتهم التفاوضية الى حد انهم يشعرون جميعاً ان عليهم تقديم التنازلات "الداخلية" الى الولايات المتحدة بعد عمر امضوه في رفضهم تقديمها الى شعوبهم. ولعل سر الحملة الاميركية من اجل الديمقراطية يكمن هنا تحديداً، اي في كونها ترمي الى ترهيب انظمة الحكم اكثر مما تهدف الى تحرير الشعوب من ارهاب الانظمة. غير ان الترقب لا ينحصر في الحكام، ولا في المفارقات. لندع جانباً ما يسمى "الشارع العربي" الذي يبدو خارج المعادلة، على ما ظهر من تواضع تحركه لدعم الشعب الفلسطيني المحاصر، ولنكتف بالاوساط المسيّسة من ناشطين ومثقفين. هنا الحيرة قد تكون اكبر مما عند الحكام وإن اخذت اشكالا اخرى. صحيح انه يمكن رصد تحركات "تقليدية"، إن جاز التعبير، من اجل "التضامن مع العراق" او التنديد بالحملة الاميركية، لكن هذه التحركات لا تقارن هي ايضاً بما حصل ويحصل في



بلدان اوروبية مختلفة او حتى في الولايات المتحدة. ولعل احد العوامل الاساسية التي تقف دون توسع هذه التحركات، ان الوسط الديموقراطي العربي يبدو مشدوداً الى تطلعين متناقضين، اذ يتطلع في الآن نفسه الى التغيير في العراق تمهيداً للتغيير في الدول الاخرى، والى سقوط الصلف الاميركي امام ثورة عالمية. وفي الحاليين، لا يعدو هذا الوسط كونه متفرجاً، مثله مثل الحكومات وكل قطاعات المجتمعات العربية. هكذا، على الاقل، تحققت وحدة العرب.

**سمير قصير**



<b>Id-Reference</b>	<b>03-Pr-000676</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		حيرة المتفرّج
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		
<b>Date</b>		٢٠٠٣/٢/١٤ 14/2/2003
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	صدام.حسين
	<b>Locations</b>	شرق.اوسط - اسرائيل - اميركا - عراق - فرنسا - فلسطين - المانيا - روسيا
	<b>Dates</b>	
	<b>Themes</b>	شرق.اوسط - صراع.عربي.اسرائيلي - استعمار - نظام.عراق - أنظمة.عربية - حرب.اميركا.على.عراق - ارهاب.انظمة - حرب.عالمية.اولى - ديموقراطية - ولايات.متحدة - مجاس.امن - جامعة.عربية - أزمة.عراقية - نظام.صدام.حسين - فلسطين - عرب
<b>Subject</b>		